

## سبيل الرشاد

لقد حدّد القرآن الكريم طريق الرشاد أما أعين الناس، فعرفوا الأشياء على حقيقتها دون خداع.

كان الناس - ولا زالوا عند انحرافهم - يرون ربحهم وخسارتهم فيما يصل إلى أيديهم من متاع، ويقع بينهم التنافس المسعور على تحقيق لذة أو إحراز منفعة. فجاء القرآن الكريم شفاءً لما في الصدور، وحدد قيم الأشياء وبيّن الربح الحقيقي ومتى يكون الخسران.

بيّن أن الربح والخسارة ليست في العرض الزائل ولا المتاع الفاني، فما أسرع ما تنقضي الزينة وينقضي المتاع.

ولعل هذا ما أشارت إليه أسماء بنتُ أبي بكر، ذاتُ النطاقين عندما قالت لمن أمر بقتل ابنها "عبد الله بن الزبير" قالت له في ثقة وصبر: (( والله ما أراك إلا قد أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك )).

فمن الذي ربح؟ ومن الذي خسِر؟

والقرآن الكريم يُحدد الأمر تحديداً قاطعاً أمام أعين الناس، لكي يعرفوا أين يكون الربح ومتى تقع الخسارة فيقول الحق - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾<sup>(١)</sup>

في أمر المنافقين الذين تأسرهم دُنياهم فيخادعون من أجلها ويقولون آمنا بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين، يقول الحق - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا

(١) الزمر: من الآية ١٥.

الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتْ تَجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾<sup>(١)</sup>

والقرآن الكريم وهو يحدد هذه الأمراض ويقدم شفاءها يدل - بعد ذلك - على طريق السلامة والعافية، ويدعو إليه. فبعد حديثه عن المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى، يدعو الناس إلى طريق الفوز والنجاة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وبعد حديثه عن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، يبين طريق الفوز والنجاة والسعادة والبشرى فيقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّنْفُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>

لقد حدد القرآن طريق الرشاد أمام أعين الناس. فبدت قيم الأشياء على حقيقتها دون تزييف أو خداع.

كم لعبت الدنيا بعقول الناس وفتنتهم بزینتها. فجاء القرآن الكريم ليكشف ما فيها من خير ويُظِلُّ ما فيها من باطل.

(١) البقرة : ١٦ .

(٢) البقرة : ٢١ .

(٣) الزمر : ١٧ ، ١٨ .

فحدد بذلك موطن التعلقِ بها والحرصِ عليها.

فأوقف الذين خدعوا ببريقها وزينتها أمام حُطام لا يملك المتعلقُ به إلا أن يُقلب كفيه وهو يراها حاويةً على عروشها. أما الذين عرفوا موطن الخير فيها فإنهم سألوا الله أن يجعلها في أيديهم لا في قلوبهم، فأخضعوها لطاعة ربه، وجعلوها ممرهم إلى دار السلام فسعدوا بذكر الله، ونعموا بمعرفته وطاعته.

وهكذا تجد القرآن شفاءً لما في الصدور وهو يحسم هذه الحقيقة بهذا البيان الرباني الساطع: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَنْهَارًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغِبْ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ <sup>(١)</sup>

والإنسان وهو يفتح قلبه لعظة القرآن البالغة، يرى الدنيا وقد صارت حُطاماً. ولا يكاد الأسي يُخيم على النفس - لدهائها وهي المحبوبة المرغوبة - حين يسمع من القرآن كلمة الحق في شأنها. لا يكاد الأسي يخيم على النفس. حتى يأتي النداء المبدوء باسم الله القادر على كل شيء - يدعو الناس إلى ما هو خيرٌ وأبقى، يدعوهم إلى دار السلام، ويبين لهم زادها وطريقها؛ لتنعم النفس ببقاء لا فناء بعده، ونعيم لا ينفد، ورضوان من الله أكبر.

(١) يونس : ٢٤ .

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُونَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ \* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وهكذا نجد القرآن الكريم يعالج أمراض النفوس ببيان الأسباب وذكر النتائج؛ ليتقي الإنسان كل سبب ينال من قلبه حتى يظل سليماً معافى من الأمراض وينعم برضى الله.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

وسلامة القلب في معرفة الله وحبّه، والإخلاص له، وإخضاع كل شيء لطاعته.

وإذا تعلق القلب بغير الله فسد أمره وساءت عاقبته. وما ضلّ من ضلّ إلا والقلب مشغول بغير الله. وما استقام وكفّ عن المحرمات إلا من اهتدى بهدى الله وجعل هواه تبعاً لما جاء به رسوله ﷺ ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٢٩﴾ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ ۝ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) يونس : ٢٥، ٢٦.

(٢) الشعراء : ٨٨، ٨٩.

(٣) النازعات : ١٩.

(٤) يونس : ٥٧، ٥٨.

قال أبو سعيد الخدري: فضلُ الله: القرآن، ورحمته: أن جعلنا من أهله. فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. ذاك موطنُ عزنا، وسبيلُ فوزنا. لقد أعزنا الله بالإسلام فمن ابتغى العز في غيره أذله الله.

### أخي المسلم:

إن صدورَ الناس أوعيةَ أفكارهم وعقائدهم، وفيها تنطوي رغباتهم وعزائمهم، وعلى أساسها يكون سلوكهم وسعيهم.

فإذا عالج القرآن ما في الصدور صح أمر الإنسان واستقام سعيه. واطمأن الناس إليه، وأتمنوه على مصالحتهم وهم لا يرون منه إلا خيراً.

والقرآن الكريم لا يقف عند علاج الصدور، بل يهدي دائماً للتي هي أقوم

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ

مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

تلك هي القيمة التي يجب أن يجعلها المسلم دائماً أمام عينيه.

وليذر الدعوات الملحدة الباطلة التي تريد أن تتخذ من التلهي بالمادة والحديث

عنها أصناماً تُعبَدُ من دون الله، ليحذر المسلم أن يصرفه عن قيمه وقيمه صارفٍ من

هو ومتاع ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ ﴿٣﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الإسراء : ٩ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) يونس : ٥٨ .

يريد أصحابُ الفلسفةِ المادية أن يجعلوا المالَ صنماً يدعو الناسَ إلى عبادته والصراع من أجله ويريدون للقيم الإنسانية أن تُؤاد، وأن تبقى ضراوة الحيوان تشتهي وتفتك.

إن الانتفاع بنعم الله التي أنعم بها على عباده لا يتم في بر ورحمة إلا بالخضوع لفضل الله ورحمته.

وفضله القرآن، ورحمته الإسلام.

وبغير الخضوع لفضله والاستجابة لرحمته تتحول نعم الله في أيدي الناس إلى نقم، ويُسخر المال في طريق الفساد والإفساد.

أقواتُ العالم تسلبُ ثم توضع في فوهات المدافع، يفعلها الظالم طلباً للسيطرة والغلبة، ويجد المظلوم نفسه مضطراً أن يُغالب قوى الشر والفساد، ويردُّ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

إن الخضوع لفضل الله وحده هو الذي يجعل نعم الله في أيدي البشر برّاً، وعدلاً، وإيثاراً، ورحمة.

إن الذين يؤمنون بفضل الله يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، إن الذين يؤمنون بفضل الله يعلمون أنهم مسئولون عن أمانات الله في أيديهم، وعمّا

استرعاهم الله وأعطاهم، وهم يرددون قوله: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي

ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ

كَرِيمٌ ﴿١﴾

(١) النمل : من الآية ٤٠.

## كان خلقه القرآن

إن الذين يؤمنون بفضل الله وحده يتواضعون ولا يتطاولون على عباد الله  
بنعمه وعطائه.

إنهم ينظرون الغد وما فيه من حساب وجزاء، فلم يشغلهم عاجل عن آجل،  
ولا تفتنهم الزينة عن الباقيات الصالحات، وهم يرددون قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا  
يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾ (١)

إنهم سعداء بفضل الله وبرحمته، ولا يرون سعادتهم في غير الله أبداً ﴿قُلْ  
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢)  
اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.



(١) البقرة : ٢٨١ .

(٢) يونس : ٥٨ .